

# منهجية كتابة التاريخ عند أوغست كونت

## August Kant's History Writing Methodology

محمد بن موسى Mohammed Benmoussa <a href="mailto:bmohammed179@gmail.com">bmohammed179@gmail.com</a>	تاريخ حديث ومعاصر	مختبر دراسات تاريخية معاصرة / المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة/الجزائر
محمد شبوب <sup>*</sup> Mohammed Cheboub أستاذ محاضر "أ" <a href="mailto:zidane_48@hotmail.fr">zidane_48@hotmail.fr</a>	تاريخ حديث ومعاصر	كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية/جامعة الشلف، الجزائر
DOI : 10.46315/1714-010-001-026		

الإرسال: 2020/10/17 القبول: 2020/00/06/03 النشر: 2021/01/16

### ملخص:

احتلت الدراسات التاريخية اهتماما كبيرا على أيدي العديد من المؤرخين الفرنسيين، والتي بدأت تأخذ مسارها منذ نهايات القرن الثامن عشر، وواصلت تقدمها عبر القراءة الاستعمارية. وبذلك تقدمت المعرفة التاريخية في تراكمها المعرفي من جهة، وتطور منهج البحث في الدراسات التاريخية من جهة أخرى. ومن الذين أسهبوا في كتاباتهم التاريخية في هذا المجال نجد المؤرخ أوغست كانط الذي جاء بمدرسه المعروفة بالمدرسة الوضعية. وسنحاول من خلال هذه الدراسة المتواضعة الوقوف على منهجية الكتابة التاريخية عند أوغست كونت ومواطن القصور عند المدرسة الوضعية وموقف علماء عصره منه. كلمات مفتاحية: التاريخ؛ الدراسات التاريخية؛ المدرسة الوضعية؛ التقدم؛ المنهج التاريخي.

### Abstract:

Historical studies occupied great interest at the hands of many French historians, which began to take its course since the end of the eighteenth century, and continued its progress through colonial reading. Thus, historical knowledge advanced in its cognitive accumulation on the one hand and the development of the research methodology in historical studies on the other hand, and among those who elaborated in their historical writings in this field, we find the historian August Kant who came to his school known as the positivist school.

Through this modest study, we will try to find out the methodology of historical writing for Auguste Kant and the shortcomings of the junior school and the position of his scholars of it.

**Keywords :** History ; historical studies, positional school ; progress ; Historical approach.

\*- الباحث المرسل: [zidane\\_48@hotmail.fr](mailto:zidane_48@hotmail.fr)

## 1- مقدمة:

يندرج موضوع دراستنا المتواضع ضمن حقول فلسفة التاريخ، خاصة بما تعلق بالمنهجية في كتابة التاريخ من زاوية معينة، هذا ما يسوق الباحث إلى معرفة اختلاف الكتابات في مثل هذه المواضيع التاريخية، والمؤرخ الفرنسي أوغست كونت، واحد من الذين انكبوا على دراسة مجتمع الإنسان أو مجتمع الفرد والجماعة، دراسة الظواهر، الوقائع، الحقائق أو العمليات الاجتماعية، في ضوء رؤية علمية وضعية وتجريبية. لتُتوج أبحاثه بظهور المدرسة الوضعية، والإشكالية المطروحة، هي: ما هي منهجية أوغست كانط في دراسته للتاريخ؟

انضوت تحت هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات، هي: ما تأثير الظروف الفرنسية في منهجية كتابة التاريخ عند هذا المؤرخ؟ في ماذا تمثلت أعماله؟ وكيف دافع عن منهجيته في كتابة لتاريخ المجتمع؟ وما موقف علماء عصره من مدرسته الوضعية؟

يُعد المؤرخ أوغست كونت أول من نحت مصطلح علم الاجتماع سنة 1830م، في العالم الغربي، وبعد ذلك، استقل علم الاجتماع عن الفلسفة مع إميل دوركايم (Émile Durkheim)، بعد صدور كتابه (قواعد المنهج في علم الاجتماع) سنة 1895م. لكن هذا لا يستبعد وجود دراسات تاريخية حول السكان، أو المجتمعات البشرية سبقت دراسة أوغست كونت، عربيا، فتاريخ نشأة علم الاجتماع الغربي هو القرن التاسع عشر الميلادي. في حين، ارتبط علم الاجتماع العربي بابن خلدون الذي أسس علم العمران البشري، في ضوء فلسفة التاريخ والعلل العلمية والعقلية في القرن الثامن الهجري (808هـ)، كما يتبين ذلك جليا في كتابه (المقدمة) وبذلك، يكون العالم بن خلدون قد سبق المؤرخ أوغست كونت في تناوله مثل هذه الدراسات بأكثر من ستة قرون.

كان المنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج الوصفي، التحليلي والاستنباطي، فقد تم عرض حيثيات الدراسة بوصف أهم المحطات التاريخية التي اعتمدها المؤرخ أوغست كونت، ودور الظروف المحيطة به في إثراء عمله التاريخي تجاه المجتمع ككل، من خلال المنهج التحليلي، لتتوصل في الأخير بواسطة المنهج الاستنباطي إلى الكشف عن جوهر المنهجية التاريخية لهذا المؤرخ الوضعي، رائد المدرسة الوضعية التاريخية خلال القرن التاسع عشر (1900)

كانت النتائج المتوصل إليها محل انتقاد من طرف علماء عصره، وخاصة العالم "كورنوه" الذي دلى بدلوه حول مواطن قصور المؤرخ الوضعي في الكتابة التاريخية، ودراسته للمجتمعات الإنسانية. فقد كانت دراسته للتاريخ والمجتمع على السواء من زاوية محددة، طبعها الظروف التي عاشها المؤرخ، وهي الثورة الفرنسية 1789م، وما قبل التاريخ المُشار إليه، لهذا، فالحركية التاريخية للمجتمعات لا يمكن ضبطها تحت أنوار قرن معين (1900)، بل يبقى باب الدراسة حولها

إلى المستقبل وما يُخبئه لها من مُفاجآت تاريخية، بفضل التقدم التكنولوجي وتأثيراته على المجتمع من مختلف جوانبه.

## 2- ظروف نشأة أوغست كونت :

عاش أوغست كونت في فترة تقلبت فيها أمور فرنسا بين الثورة الفرنسية (زينب، 15) والردة نحو الرجعية، وبين الحرية والديكتاتورية، وسيطرة الحكام ومقاومتهم لأي تغير، بل ومحاولة القضاء على آثار الثورة الفرنسية، ففي خلال خمسين عاماً عاشت فرنسا عدداً من أنواع التمرد، ومع سلسلة القلاقل والتقلبات، وُجدت فترات قصيرة نسبياً من الهدوء، انعكس كل هذا على المجتمع، وأصاب اقتصاده بالاضطرابات والتغيرات الاجتماعية والسياسية السريعة، فزع أوغست كونت من تحطيم النظام الاجتماعي في أيامه. فدعا المفكرين التقليديين إلى إعادة بناء المجتمع الأخلاقي وكان جاداً في طلب الوحدة والنظام اللذان كانا يفرقان على كل أعماله. وقد كان ليبرالياً، والليبرالية نظام اقتصادي تُطلق على الحرية في امتلاك وسائل الإنتاج، المنافسة الفردية وغيرها. تأثر بالمفكرين الليبراليين، خاصة رجال الاقتصاد السياسي، ابتداءً من آدم سميث، وهو فيلسوف انجليزي (1723-1790) وأستاذ المنطق والأخلاق في جامعة اسكتلندا، واضع علم الاقتصاد السياسي، وموجه الأنظار إلى الحرية التجارة (محمد، 117، 2008). وعرف بعض كتابات إمانويل كانط، وهو فيلسوف ألماني (1724-1804)، صب حياته في قالب لا يجيد عنه من النظام والدقة، له نقد العقل الخالص ونقد العقل العملي (حسين، 1984م، 133) الذي اعتبره أوغست كونت أكثر الميتافيزيقين قرباً من الفلسفة الوضعية.

تُعدُّ النظرية الوضعية، من أهم النظريات السوسولوجية الكبرى في تاريخ الفكر الغربي، فقد أحدثت قطيعة إبستمولوجية مع التصورات الأسطورية والميتافيزيقية، بتبني التجريب العلمي منهجاً في تحصيل الحقائق، وخاصة في مجال علم الاجتماع، الذي أصبح علماً مستقلاً مع إميل دوركايم صاحب كتاب "قواعد المنهج في علم الاجتماع" الصادر سنة 1895م. ومن هنا، تنبني الوضعية على الاختبارات الحسية، والتفكير المادي والموضوعية العلمية، والحياد في البحث، والعلمانية (فصل الدين عن العلم)، التجريب، والتخلص من اللاهوت والتفكير الميتافيزيقي، المنفعة والواقعية (نبيل، 1975م، 140)

دعا أوغست كونت إلى إصلاح المجتمع والسياسة خلال القرن التاسع عشر، ورأى ضرورة تغيير حال المجتمع من المبدأ الذي جعله في عبارته المشهورة « العلم ومن ثم التنبؤ، التنبؤ ومن ثم الفعل » وهو يريد أن يستخدم هذا العلم الجديد، علم الاجتماع الذي يهتم بدراسة العلاقات الاجتماعية (يوسف، 1995م، 50-51) في تغيير الأوضاع الراهنة آنذاك في فرنسا. وبعد الأزمة التي

أحدثها الثورة الفرنسية عام 1789م وإمبراطورية نابليون الأول. كان المفكرون في فرنسا قد انقسموا إلى فريقين حيال هذه الأزمة بعد مرورها، وهما:

أ- فريق اليمين ويمثله "شاتوبريان ودي بونالد- جوزيف دي ماستر" كانوا يرون أن الحل هو الرجوع إلى عهد ما قبل الثورة، أي تحالف الملكية والكنيسة الكاثوليكية.

ب- فريق يتزعمه " فوريه وسان سيمون" وغيرهم من أهل اليسار، وكانوا يعتقدون أن النظام القديم أي ما قبل الثورة الفرنسية، قد مضى إلى غير رجعة ولا جدوى من إعادته، بل من المستحيل أن يعاد، وطالبوا بنظام إجماعي سياسي جديد (عبد الرحمان، 314).

3- أهم أعمال أوغست كونت:

3-1- تأسيس المذهب الوضعي :

أتى أوغست كونت بنظام اجتماعي جديد وتشريع لتحقيقه، ورأى أن ذلك لا يمكن أن يتم إلا بالروح الوضعية (نيقولا، 1983م)، التي دعا إليها وامتدت إلى إنجلترا والجامعات الألمانية (ليفي، 1952م، 18) وبهذا يُتمم الفلسفة الوضعية بسياسة وضعية تقوم على أساس الشعار التالي « الحب هو المبدأ، النظام هو الأساس، والتقدم هو الغاية » ذلك أن هناك قانونا يدفع بالإنسانية إلى التقدم، وما بنو الإنسان إلا أدوات لتحقيق هذا التقدم متى وعينا هذا القانون، بدلا من أن نكون مسوقين به عن غير إرادة، استطعنا أن نجعل منه قاعدة لناموس أخلاقي جديد. وعينا في المجتمع الوضعي، أن نحقق هذا الشيء، وأن نسرع في هذا الطريق بتقدم الإنسانية وتحقيق هدف التاريخ. وهذا ما عرضه أوغست كونت في كتابه « نظام (أو مذهب) الفلسفة الوضعية » وفيه عدل بعض التعديل في تصنيفه السابق للعلوم، بأن أضاف علما سابعا هو الأخلاق (عبد القادر، 2012م، 60) ، والمبدأ الذي تقوم عليه هذه الأخلاق، هو : « أن تعيش من أجل الآخرين » (عبد القادر، 2012م، 141-142)، ويرتبط بها دين جديد هو «الإنسانية»، معبوده موجود لا يشك فيه أحد ألا وهو « الإنسان ». (عبد القادر، 2012م، 314) وهذا ما يؤكد أنه دون وجود تفاعل إنساني مستمر لا يمكن أن نطلق على المجتمعات صفة اجتماعية. (حسين، خ، 2011م، 11) لقد جاءت وضعية أوغست كونت حلا للفوضى التي كانت تعيشها فرنسا إبان انتصار الثورة الفرنسية على الإقطاع، فنتج عن ذلك مجموعة من الاضطرابات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وعرف المجتمع انقساما وتفككا وتصدعا وفوضى عارمة. لذلك، حاول هذا المؤرخ أن يوفق بين رغبات المجموعة المحافظة، ورغبات البورجوازية التي كانت تناصر الثورة. لذا جاءت الوضعية للدفاع عن النظام والتقدم، وتوظيف العلم لتحقيق أمن المجتمع وسلامته. لكنه لم يوظف الفكر العلمي باعتباره نظرية لتحقيق ذلك، بل استخدمه سلاحا إيديولوجيا ليس إلا، وفي هذا الصدد، تقول وسيلة خزار: « وعلى الرغم من إيمان كانط بالمنهج الوضعي، إلا أنه لم يلتزم

أساسياته، بل حوله إلى سلاح إيديولوجي، فقد حاول إقصاء الجماهير عن إدارة المجتمع وتنظيمه، وعن رسم السياسة العليا له، على أساس أن هذه الوظيفة هي وظيفة علماء الاجتماع وخبراء التنظيم؛ فهذه الصفوة هي السلطة النهائية القادرة على رسم الطريق الصحيح لتحسين حالة أبناء الطبقات الدنيا، وذهب إلى أنه ليس من حق الجماهير التساؤل عن أشياء تعلق قدراتهم ومؤهلاتهم» (وسيلة، 2013م، 133-134).

وخلاصة القول، لقد اهتمت الوضعية، عند أوغست كونت، بدراسة الظواهر النسبية غير المطلقة، بالتوقف عند العلاقات الثابتة بين الوقائع والظواهر، في إطار ترابطها السببي، بُغية استخلاص قوانينها وقواعدها النظرية والتطبيقية. ومن ثم، يمكن القول بأن هذا المؤرخ يعد من أهم مؤسسي علم الاجتماع الوضعي (عبد الباقي، 1981م، 317-318)، ومن السابقين إلى الأخذ بمنهج التفسير في دراسة الظواهر المجتمعية، بتمثل منهجية الفيزياء، البيولوجيا الفيزيولوجيا والكيمياء في التعاطي مع الظواهر المادية، مع الاعتماد على مجموعة من الخطوات العلمية، مثل: الملاحظة، التجربة المقارنة والتاريخ.

### 2-3- تطوير علم الاجتماع:

يعد أوغست كونت من رواد الوضعية [Positivisme](#) الذين أسسوا علم الاجتماع على أسس علمية تجريبية، اعتمادا على الملاحظة، التجربة، المقارنة والتاريخ، وقد قَسَم أوغست علم الاجتماع إلى قسمين:

أ - قسم ستاتيكي يدرس الظواهر المجتمعية في حالتها الساكنة والثابتة والنسبية، كدراسة النظم الاجتماعية الجزئية (النظام الأسري، والنظام التربوي، والنظام السياسي، والنظام الاقتصادي...)، بالتركيز على العلاقات الترابطية والسببية بين المتغيرات.

ب - قسم ديناميكي، يدرس التغير وحركة المجتمع عبر السيرورة الزمنية أو التصور الدياكروني والتاريخي الذي يتمثل في أن كل إنسان أو مجتمع أو فرع من فروع المعرفة، يمر حتما بما يعرف بقانون التطور (الهادي، 2013م، 85)، فهو المناسب لتأسيس فلسفة حقة للتاريخ، وهذا القانون في التاريخ مر على ثلاث مراحل، هي:

1- المرحلة اللاهوتية أو الخيالية. (محمد عابد، 1998م، 25)

2- المرحلة الغيبية أو التجريدية.

3- المرحلة الوضعية (حسين، 1984م، 171).

1- قانون المرحلة الدينية أو اللاهوتية: كان الإنسان، في هذه المرحلة، يفكر بطريقة خيالية، أسطورية، خرافية، سحرية، غيبية، ودينية؛ وكان يفسر ظواهر الطبيعة وفق قوى خفية مصدرها

الأرواح، الشياطين، العفاريت والآلهة (الجويري، 2001م، 147). ولم يكن هناك أدنى اعتراف بالاحتمية التجريبية، فالقانون الوحيد هو الصدفة فقط. (أحمد، 1981م، 145).

2- المرحلة الميتافيزيقية: انتقل الإنسان، في هذه المرحلة، من الميتوس والخيال إلى اللوغوس والفكر المجرد. وبدأ يهتدي بالتأمل الفلسفي، واستخدام العقل والمنطق، الاستدلال البرهاني، والحجاج الجدلي. وتواكب هذه المرحلة الفكر الفلسفي الميتافيزيقي من مرحلة الفلسفة اليونانية حتى القرن التاسع عشر، قرن التجريب، والاختبار والوضعية. وكان الفلاسفة يرجعون الطبيعة إلى أصول ومبادئ كامنة في تلك الظواهر، كتفسير ظاهرة النمو في النبات إلى قوة النماء، وظاهرة الاحتراق بإله النار (أحمد، 1981م، 145).

3- المرحلة الوضعية: في هذه المرحلة، تجاوز العقل الإنساني مرحلة الخيال والتجريد، وبلغ درجة كبيرة من الوعي العلمي، والنضج التجريبي. إذ أصبح التجريب أو التفسير منهج البحث العلمي الحقيقي، ثم الارتكان إلى المعرفة الحسية، وتكرار الاختبارات التجريبية، وربط المتغيرات المستقلة بالمتغيرات التابعة ربطاً سببياً، في ضوء مبدأ الحتمية أو الجبرية العلمية. وتعد هذه المرحلة أفضل مرحلة عند أوغست كونت، وهي نهاية تاريخ البشرية. (أحمد، 1981م، 145)

يُبين أوغست كونت دور "قانون التقدم" فيقول: إن الاستخدام التدريجي لهذا القانون العظيم قد اقتادنا في النهاية إلى أن نجد في أمان من كل هوى واعتباط، المثل العام للحضارة الحالية، وذلك بتعيينه الخطوة التي تم بلوغها بواسطة التقدم الأساسي تعيينها بدقة تامة، ومن ثم ينتج في الحال التوجيه الضروري للاتجاه الذي يجب فرضه على الحركة المنظمة. ويؤكد أوغست كونت أن الوضعية هي وحدها، الكفيلة بوضع الأساس لإعادة تنظيم المجتمع، كما يؤكد أن الأخلاق في مجتمع المستقبل لا بد أن تقوم على هذه الفلسفة الوضعية. (أحمد، 1981م، 145)

يقول أوغست كانط: "لتقم طبقة جديدة من العلماء المكونين تكويناً ملائماً، وفي ذات الوقت غير مستغرقين في الدراسات التخصصية في أي فرع من فروع الفلسفة الطبيعية." والمقصود بها: الفيزياء والعلوم الطبيعية على العموم (محمد عابد، 1998م، 26) وبفضل سيطرة الاتجاه العلمي التجريبي في التاريخ (عبد، 2000م، 173) في الفترة التي اصطلح على تسميتها بالنهضة. لم يعد التاريخ منشغلاً بالتخيلات اللاهوتية ولا التجريدات الغيبية، بل منشغلاً بالحقائق، أي بالناس في بيئتهم الفيزيائية (هيوغ، 1982م، 28) والسياسية والعسكرية. فمرحلة الوضعية هي مرحلة العلم التي يتخلى فيها الإنسان عن البحث المطلق، وعن أصل الكون ومصيره، ويُعتبر أن دوره مقتصر على تحديد القوانين التي تسير الظواهر الطبيعية بالاعتماد على التجربة. يعتبر المؤرخ أن الشرق مهد الدين، وأن اليونان مهد الميتافيزيقيا وأن الغرب هو مهد العلم. (الهادي، 2013م، 88)

إن العقل البشري لا يحقق ذاته إلا بالوضعية والعلوم الملموسة هي المصدر الوحيد للمعارف الصحيحة، أما الفلسفة والتنظيرات واختراع المفاهيم المجردة أشياء لا فائدة ترجى منها. لقد كانت وضعية أوغست كونت ردة فعل ضد عدم قدرة الفلسفة وخاصة الفلسفة المثالية الألمانية الكلاسيكية على حل المعضلات الفلسفية، الناجمة عن التقدم السريع والهائل للعلوم. إلا أن الوضعية لوت العصا في الاتجاه المعاكس تماما ورفضت أي تفسير فلسفي بدعوى أنه لا يمكن إثباته بالتجربة الملموسة. (الهادي، 2013م، 88)

من هنا يمكننا أن نعرف الوضعية على أنها تطبيق قوانين علوم الطبيعة على الإنسان وذلك منذ أواخر القرن التاسع عشر إلى بداية القرن العشرين، ولا ننسى أن القرن التاسع عشر هو عصر انتصار العلوم الطبيعية منهجا (المنهج التجريبي) وتطبيقا. فالوضعية الكونطية تعتبر العلوم القائمة على التجربة، باعتبار أن المنهج التجريبي هو منهج العلوم الطبيعية على وجه الخصوص (عبد الرحمان، 1993م، 129) وعلى المشاهدة، المصدر الوحيد للمعرفة الحقة، وتنكر القيمة المعرفية للفلسفة، وللميتافيزيقيا وللتفكير القائم على التجريد. (الهادي، 2013م، 85)

هذا، وقد أسس كونت الفيزياء الاجتماعية، ثم استبدلها بعلم الاجتماع وبعد ذلك، أصبح هذا المصطلح شائعا في الثقافة الغربية، تمثلته الثقافات الكونية الأخرى. يقول أوغست كونت: «لدينا الآن فيزياء سماوية، وفيزياء أرضية ميكانيكية أو كيميائية، وفيزياء نباتية وفيزياء حيوانية، ومازلنا في حاجة إلى نوع آخر وأخير من الفيزياء، وهو الفيزياء الاجتماعية، ذلك العلم الذي يتخذ من الظواهر الاجتماعية موضوعا للدراسة، باعتبار هذه الظواهر من روح الظواهر العلمية والطبيعية والكيميائية والفسولوجية نفسها، من حيث كونها موضوعا للقوانين الثابتة». من هنا نجد أن "علم الاجتماع" تربطه علاقة تماثلية مع بقية العلوم (أتونوي، 2005م، 25) وهذا العلم، علم جديد نشأ في ميدان العلوم الإنسانية على أيدي علماء فرنسيين، يتصدرهم أوغست كونت كعضو مطور له بالغرب. (عبد، 1990م، 62-63)

#### 4- منهج البحث التاريخي عند أوغست كونت:

تتلخص قواعد المنهج عند المؤرخ الوضعي في الملاحظة والتجربة والمنهج المقارن ثم ما يسميه أوغست كونت بالمنهج التاريخي (وجيه، 2012م، 162) وسنستعرضها في ما يلي:

1- الملاحظة: المقصود بالملاحظة، ليس مجرد الإدراك المباشر للظواهر، ولكن هناك وسائل أخرى مثل دراسة العادات، التقاليد، الآثار ومظاهر الفنون الأخرى، تحليل ومقارنة اللغات والوقوف على الوثائق والخبرات التاريخية، دراسة التشريعات والنظم السياسية والاقتصادية وما إليها، الملاحظة الاجتماعية ليست سهلة وذلك لطبيعة تداخلها، وكذا لأن الفرد يشارك فيها بدرجة أو بأخرى، لذا يجب النظر إلى الحقائق الاجتماعية على أنها موضوعات منعزلة عنا وخارجة عن ذاتنا

ومنفصلة عن شعورنا حتى نستطيع أن نصل من وراء الملاحظة الاجتماعية .  
2- التجربة : يقصد بها التجربة الاجتماعية، حيث يمكن مقارنة ظاهرتين متشابهتين في كل شيء ومختلفتين في شيء واحد .

3- المنهج المقارن : وهو يرى أن المقارنة الاجتماعية بالمعنى الصحيح تقوم على مقارنة المجتمعات الإنسانية بعضها ببعض للوقوف على أوجه الشبه وأوجه التباين بينها(وجيه، 2012م، 177).

4 المنهج التاريخي: ويسميه كانط بالمنهج السامي، ويقصد به، المنهج الذي يكشف عن القوانين الأساسية التي تحكم التطور الاجتماعي للجنس البشري باعتبار هذا الجنس وحدة واحدة تنتقل من مرحلة إلى أخرى. ولقد ميز كونت علم الاجتماع عن الفلسفة السياسية بإصراره على أن الاستقصاءات السوسولوجية لا بد وأن تعتمد على المناهج الوضعية أو الموضوعية في الملاحظة التجريب، والمقارنة المميزة للعلوم الطبيعية. كما أن تطبيق المعرفة العلمية في المجتمع جديرة بأن تُقدم أكبر تقدم في المجتمع الإنساني. جاهد أوغست كونت وكتب كثيرا، دفاعا عن الموقف الوضعي بالنسبة لدراسة المجتمع، وبذلك أصبحت الوضعية مقترنة بكانط تاريخيا ، إلا أنه لم يمارس عمليا ما كان ينادى به، حيث أنه لم يقم بدراسات يستخدم فيها طرق البحث الاجتماعي فلا نزاع في أنه أول من عرف علم الاجتماع بأنه الدراسة الواقعية المنظمة للظواهر الاجتماعية(عبد الرحمان، 1993م، 129).

الحدث التاريخي بالنسبة إلى المؤرخ الوضعي كالتجربة التي يمارسها عالم الطبيعيات في مخبره، لذلك يحرص المؤرخ الوضعي على استخدام الأرشيف، ويحرص أكثر على إثبات صحة الأحداث بالوسائل النقدية التي أرساها العلماء. توجد أربعة مراحل في نظر المؤرخ الوضعي لإنجاز عمله النقدي في إطار منهجية بحثه التاريخي وهي(الهادي، 2013م، 89):

1- تجميع الوثائق.

2- نقدها.

3- ضبط الأحداث(حسين، 1984م، 24).

4- وأخيرا ترتيب هذه الأحداث ضمن سياق سردي كرونولوجي.

وبما أن التاريخ ليس أدبا وإنما علما، فالمؤرخ الوضعي مُطالب بتجميع أكثر ما يمكن من الوثائق، المعطيات، وإدراج قائمة في المصادر المستعملة، وبتطعيم تحاليه على غرار عالم الطبيعيات بالإحصائيات والمعطيات الرقمية وبالخطوط البيانية، وعليه كذلك أن يضع أسفل كل صفحة أو بعد كل فصل أو فقرة الملاحظات والهوامش التي تمكن القارئ من التثبت من صحة الوثائق المستعملة.(الهادي، 2013م، 89).



ونقد الوثائق نوعان :

\* نقد خارجي: الذي يثبت صحة الوثيقة وتاريخها الدقيق وصاحبها وأصلها.

\* نقد داخلي : الذي يثبت مصداقية مضمون الوثيقة، إما التقييم، التأويل والتنظير، وتلي هذه

المرحلة التحليلية عملية التأليف Synthèse التي تتم بدورها على مراحل هي :

1- مقارنة الوثائق.

2- تجميع الأحداث في أطر عامة مثل المعطيات الطبيعية، والأنشطة الاقتصادية والفئات الاجتماعية والمؤسسات السياسية وغيرها.

3- إقامة العلاقة بين هذه الأحداث، وأخيرا التأليف، ونظرا لتشعب العمليات يستحسن تقسيم العمل(فريد،2000م،106).

يتجرد المؤرخ الوضعي عند إنكبابه على كتابة التاريخ من انتماءاته السياسية، الثقافية الدينية والقومية، وعليه أن يترك مشاعره وعواطفه على جنب، ويحاول أن يفهم ويُفسر، وعليه ألا يطلق أي حكم قيمي كأن يمدح، يُنوه، يندد أو يتأسف، أو يهمل وثائق معينة عن قصد لأن محتواها لا يتماشى ونتائج حدها مسبقا.(التميحي،2013م،90)

5- نقد منهجية كتابة التاريخ عند المؤرخ أوغست كونت:

من خلال تتبعنا لمنهجية كتابة التاريخ عند المؤرخ الفرنسي الوضعي أوغست كونت ، تبينت مجموعة من الانتقادات الموجهة إلى نظريته ، منها :

- لقد أخرج المؤرخ الوضعي نظرة مدرسته الوضعية للتاريخ من التفسير الميتافيزيقي الغيبي إلى نظرية التفسير العلمي للظواهر، فنظريته الوضعية جعلت دراسة المجتمع مساوية لدراسة الطبيعة. بيد أن كل عنصر من العنصرين المذكورين خصوصياته.

- اعتمد المؤرخ أوغست كونت في منهجية كتابة التاريخ على جمع أكثر الدلائل أو الوثائق الأرشيفية، لأجل الملاحظة، وجمع أكبر قدر من المعلومات لمختلف الظواهر الاجتماعية، وتقصي تلك الحقائق، لكنه أغفل جانبا مهما وهو ندرة تلك الوثائق أو إتلافها، هنا يُصبح مصير البحث التاريخي ترعاه أيادي بشرية تسعى إلى تحقيق مساعيها الشخصية.

- ذكر المؤرخ في توضيح منهجيته في كتابة التاريخ أن الغرب مهد التطور، الشرق مهد الدين واليونان مهد الميتافيزيقيا، هذا بلا شك أمر واقعي، لكن ما هو غير واقعي، أن الشرق الذي هو الدول الإسلامية التي عرفت نزول القرآن الكريم على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، هذا الدين كامل، وجامع لمختلف قضايا البشر، ولا يختص بسلالة دون أخرى، بل دين الله على العبادة، وعليه، فنظرية كانط في هذا الميدان نسبية لا مطلقة.

- لم يأت المؤرخ كانط على ذكر بقية الأديان السماوية الأخرى (الإنجيل، التوراة، الزبور) والسبب واضح، هو تزييفها لبلوغ مصالح ذاتية، مما يؤدي في النهاية إلى تغييب الحقيقة عن الناس.  
- يُرجع كانط تطور الظواهر الاجتماعية إلى تطور التفكير، لكن لا يمكن الجزم المطلق بهذه النظرية، لأن تطور الظواهر الاجتماعية يعود إلى عوامل أخرى إلى جانب التفكير.  
- لا يمكن الجزم بأن الوضعية هي في نهاية المطاف أمام سيرورة الحياة البشرية، وأنماط حياة الدول، فالمستقبل وأمام التغيرات الاجتماعية التي يشهدها يستطيع أن يثري التاريخ بقوانين جديدة إلى جانب رواد المدرسة الوضعية التي يتزعمها المؤرخ أوغست كونت.

#### 6- مواطن قصور المؤرخ الوضعي :

تندرج تناقضات المدرسة الوضعية ضمن الموقف المتناقض لمفكري الطبقة البرجوازية الغربية، فهم حريصون من ناحية على تطوير العلوم الطبيعية لأن ذلك يؤدي إلى النهوض بالصناعة والإنتاج، لكنهم من ناحية ثانية يرفضون النتائج الفلسفية التي تتجاوز حدود النظريات العلمية الطبيعية. ومن بين تلك النتائج فكرة خلود النظام الرأسمالي وإمكانية الاستعاضة عنه بنظام آخر. (وجيه، 2012م، 90)

ومن أهم المآخذ على المؤرخ الوضعي، نجد :

\*- اعتباره الظاهرة الإنسانية مثل الظاهرة الطبيعية، وما في الإنسان لا يخضع للأدوات الرياضية وللقياس ولا يدخل في باب العلم.

\*- سقوطه في القومية الشوفينية رغم إدعائه الموضوعية التاريخية في كتاباته، تأجج القومية الثأرية في فرنسا بعد هزيمتها عام 1870م أمام ألمانيا ، وبزوغ مشاعر الاعتزاز المفرط بالنفس في ألمانيا وإيطاليا بعد عملية التوحيد الترابي التي عاشتها البلدان.

\*- اهتمام المؤرخ الوضعي أكثر من اللزوم السياسي(التمييزي، 2013م، 91) ، ولعل ذلك راجع إلى الحماس القومي الذي ذكرناه، وإلى رواج فكرة الفيلسوف الألماني "هيجل" التي تؤكد بأن الدولة هي أسى ما بلغه الروح المطلق في مسيرته لتحقيق الحرية. (عبد الرحمان، 1993م، 245).

\*- تركيز المؤرخ الوضعي على الفرد وعلى الكرونولوجيا،(الهادي، 2013م، 91) أي علم التاريخ الحديثي *l'histoire événementielle*، وقد ذكر عالم الاجتماع والاقتصاد الفرنسي " فرانسوا سيميان" عندما اتهم المؤرخ الوضعي بأنه يعبد ثلاثة أصنام هي :

1- السياسة.

2- الفرد.

3- الكرونولوجيا. (عبد الرحمان، 1993م، 245).

\*- إهمالها للوثائق غير المكتوبة وخاصة الوثائق الأثرية. (فريد، 2000م، 108).

\*- غياب التأويل والروح التأليفية في أعمالها وبحوثها.

\*- زَيغُها عن مبادئها وخاصة مبدأ الموضوعية والحياد العلمي، وانحيازها إلى إيديولوجية سياسية معينة، وهذا ما دفع بمدرسة الحوليات L'école D'anale إلى الاهتمام البالغ إلى تقريب التاريخ من سائر العلوم الإنسانية والاجتماعية الأخرى، وهي ترفض هيمنة العامل السياسي على العوامل الأخرى وإن كانت تقر بأن لهذا العامل دورا كبيرا في تفسير الأحداث، ولكنه ليس بالعامل الوحيد. (فريد، 2000م، 108)

07- موقف علماء عصره من فكره (المؤرخ كورنوه) :

يرى "كورنوه (1801-1877م) المعاصر الأصغر أوغست كونت بأن نتجنب العنصر الغيبي، واتفق من طرق أخرى مع اتجاه المذهب الوضعي في رسالته حول « تسلسل الأفكار الجوهريّة في العلوم والتاريخ»، قدم تصويبات مهمة لكانط . وأصر "كورنوه" على النقيض من معالجة أوغست كونت للقوانين الاجتماعية على أهمية الفرد والخاص بالنسبة للبحث الفلسفي في التاريخ (جورج، 1996م، 111).

الفردية، وهي الحقيقة المستقلة لكل ما يحيط بها من صفات مميزة على نحو فريد ، وهي تثبت التفاتنا. وذلك لأننا لم نعد نعيش في الظرف العادي للعلم الذي يقوم بعمل تجريد استقراء من الأفراد، وإنما نحن نجد أنفسنا في تاريخ حقل أصيل، في مواجهة لجميع ما في المقدور من تفردات. فلسفة التاريخ تبحث في دواعي الأحداث لا في أسبابها. (جورج، 1996م، 111).

ومع أن " كورنوه" أقر بأنه لا يملكون إلا أيسر قدر من المعرفة بتاريخ أجزاء صغيرة من البشرية، فإنه كتب أنه من الضروري مشاهدة تطور التاريخ ككل، وألا تقتصر فقط على تأمل نقطة ابتدائية، بل وأيضا الدور النهائي والأحداث التي تجرى في ثناياها في أثناء الطريق. وهو ينظر بعين الرضا إلى اتجاه أولئك المؤرخين الذين يعدون واجهم أن يبرزوا تقدم البشرية من خلال تمايزات الأجناس البشرية وثورات الدول والإمبراطوريات (جورج، 1996م، 111)..

لخص "كورنوه" تصوره الكلي للتاريخ على النحو التالي : « إن التاريخ على ما يفهم عادة له نقطة ابتداء هي الحقائق البدائية التي ينتسب وصفها وتفسيرها، إن أمكن ذلك، إلى علم السلالات أو الأثنولوجيا ، وهو يقود البشرية باطراد نحو حالة نهائية اتخذت فيها عناصر الحضارة الجديرة حقا بتلك التسمية نفوذا قويا مسيطرا في كل ما يتعلق بتنظيم المجتمعات، نفوذا يعلو على جميع العناصر الأخرى للطبيعة البشرية (جورج، 1996م، 112).

## 8- خاتمة

مما سبق ذكره عن المدرسة الوضعية لصاحبها المؤرخ الوضعي أوغست كونت، يمكن أن نستنتج ما يلي :

\* المؤرخ الوضعي الذي ينتمي إلى المدرسة الوضعية الفرنسية، قد أفاد الكثير من المؤرخين بمنهجه الجديد الذي طبق على الدراسات الإنسانية، أي تطبيق المنهج العلمي التجريبي على البشر للوصول إلى حقائق تاريخية هامة.

\* رأت المدرسة الوضعية بأن الإنسان يتخلى فيها عن البحث المطلق وعن أصل الكون ومصيره ، ويعتبر أن دوره يقتصر على تحديد القوانين التي تشير إلى الظواهر الطبيعية بالاعتماد على التجربة، فالعقل البشري حسب أوغست كونت لا يحقق ذاته إلا بالوضعية والعلوم الملموسة هي المصدر الوحيد للمعارف الصحيحة.

\* يتصور المؤرخ الوضعي أن بإمكانه استعمال لغة تاريخية محايدة، علمية وموضوعية أي تحقيق الدرجة الصفر للكتابة وفق تعبير السيميائي الفرنسي "رولان بارت" لكن اتضح خلافا لذلك أن طريقة كتابة المؤرخ رهينة الموضوع الذي يكتب فيه. إذ يوجد فرق بين طريقة كتابة التاريخ السياسي والاجتماعي وغيرها.

\* التاريخ علم قائم بذاته، وهو ليس حدث بل أحداث والمنهجية المتبعة في البحث التاريخي ليست واحدة، لا ننكرها، ولكن الأشكال المطروح في هذه المنهجية التي تتجاوز أفكار رواد المدرسة الوضعية هي الكتابة النسبية وليس الكتابة المطلقة لتاريخ أي دولة أو أي قضية ما.

\* وإذا كانت الدراسات التي تتناول المجتمع لم تبلغ مستوى العلوم الوضعية، فذلك لأن الأبحاث التي من هذا النوع كانت دائما سجيئة التفكير الميتافيزيقي، أما اليوم، ومع أوغست كونت فلقد أصبح من الممكن، بل من الواجب، بفضل تقدم العلوم الوضعية، إنشاء علم اجتماعي وضعي يكون المجتمع فيه كالفيزياء بالنسبة إلى الطبيعة.

## 7- المراجع:

- 1- أتكن، هيوغ.(1982).دراسة التاريخ وعلاقتها بالعلوم الاجتماعية.(الطبعة الثانية). ترجمة محمود زايد، تقديم قسطنطين زريق.بيروت، لبنان: دار العلم للملايين.
- 2- التميمي، الهادي.(2013). المدارس التاريخية الحديثة، الطبعة الأولى.بيروت، لبنان: دار التنوير للطباعة والنشر.
- 3- الجابري، محمد عابد.(1998).مدخل إلى فلسفة العلوم الفلسفة المعاصرة وتطور الفكر العلمي.( الطبعة الرابعة)، الرباط، المغرب:مركز دراسات الوحدة العربية.
- 4- الخشاب، أحمد.(1981).التفكير الاجتماعي؛ دراسة تكاملية للنظرية الاجتماعية.بيروت، لبنان: دار النهضة العربية.
- 5- السمالوطي، نبيل.(1975). الإيديولوجيا وأزمة علم الاجتماع المعاصر: دراسة تحليلية للمشكلات النظرية والمنهجية. القاهرة، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- 6- الكوثراني، وجيه.(2012). تاريخ التأريخ: اتجاهات، مدارس ومناهج.(الطبعة الأولى). بيروت، لبنان: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
- 7- بن سليمان، فريد.(2000). مدخل إلى دراسة التاريخ. مركز النشر الجامعي. سلسلة العلوم الإنسانية.
- 8- بيليمان، عبد القادر.(2012). دراسات فلسفية في الأخلاق والسياسة: نحو رؤية تحليلية للحالة العربية.(الطبعة الأولى). الجزائر:مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع.
- 9- تماشيف، نيقولا.(1983). نظرية علم الاجتماع: طبيعتها وتطورها.(الطبعة الثامنة). ترجمة محمود عودة وآخرون. القاهرة، مصر: دار المعارف.
- 10- حسين العزاوي، عبد الرحمان.(1993). التاريخ والمؤرخون. بغداد، العراق: دار الشؤون الثقافية العامة.
- 11- محمد حامد، يوسف.(1995). علم الاجتماع النشأة والمجالات.الإسكندرية، مصر: المكتب العلمي للنشر والتوزيع.
- 12- خزار، وسيلة.(2013). الأيديولوجيا وعلم الاجتماع: جدلية الانفصال والاتصال.بيروت، لبنان: منتدى المعارف بيروت.
- 13- شطوطي، محمد.(2008). مباحث المصطلحات الفلسفية ومناهج التحليل.(الطبعة الأولى). الجزائر: دار قرطبة للنشر والتوزيع.
- 14- زيدان، عبد الباقي.(1981). التفكير الاجتماعي: نشأته وتطوره. القاهرة، مصر: دار الفكر العربي.
- 15- قاسم قاسم، عبده.(2000). تطور منهج البحث في الدراسات التاريخية.(الطبعة الأولى).القاهرة، مصر: عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.
- 16- زينب، عصمت راشد. تاريخ أوروبا الحديث في القرن التاسع عشر. القاهرة.مصر: دار الفكر العربي.
- 17- غيدنز، أنتوني.(2005).علم الاجتماع.(الطبعة الأولى). ترجمة فايز الصباغ.بيروت، لبنان: منشورات المنظمة العربية للترجمة.
- 18- مؤنس، حسين.(1984). التاريخ والمؤرخون.القاهرة.مصر: دار المعارف.
- 19- محمد الجويري، محمد.(2001). منهج البحث في التاريخ. القاهرة، مصر: المكتب المصري لتوزيع المطبوعات.

20- وايد جري ألبان، جورج.(1996). التاريخ وكيف يفسرونه من كنفوشوس إلى تويني.(الجزء الثاني). ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد. القاهرة، مصر: الهيئة المصرية للكتاب.

الموسوعات:

01- الخواجة، محمد ياسر والدريني، حسين.(2011). المعجم ، الموجز في علم الاجتماع.( الطبعة الأولى)، القاهرة، مصر: العربية للنشر والتوزيع.